

الخلاف المرجعي في مصطلحات علم المعاني بين البلاغة والنحو

د. فاطمة حيدر علي

مقدمة في المصطلح:

هو اتفاق جمع بعينه (١) على اسم ما لينتقل هذا الاسم من معناه اللغوي الى معنى اخر لما بينهما من مناسبة، مثل الاشتراك والتشابه لبيان مفهوم الشيء المنقول اليه (٢) وتعريفه. ولم تأخذ كلمة (مصطلح) المعنى الذي حدد لها الا بعد زمن طويل من استخدامه، او الحاجة اليه. لذا وجدنا المعنى متعدداً والاصطلاح مختلفاً متداخلاً. ويعود اختلاف المصطلح الى (اختلاف الفنون او المناهج المختلفة التي تميزت بها كل فئة لهذا برزت مصطلحات خاصة بالبلاغيين ومصطلحات خاصة بالنحويين) (٣). ولا يمكن للفرد وضع المصطلح، لأن الاجماع من شروط وضع المصطلح. وهناك اسباب كثيرة دفعت الى التداخل كتداخل المصطلحات البلاغية والنحوية في علم المعاني.

علم المعاني

مصطلح يطلق عليه علم الدلالة (٤) السيمانطيقياً (٥)، وهو علم لغوي حديث يطلق على الدلالة اللغوية معتمداً حدود النظام اللغوي وعلاماته، اما مجاله فهو (دراسة المعنى اللغوي على صعيد المفردات والتراكيب) (٦). أي ان لمصطلح الدلالة ومضمون التركيبة (الدالية) علاقة جدلية اذا اخذنا بنظر الاعتبار:

- مصداقية المفوظ واحتوائه المعنى.
- المفردات والعلاقة المعنوية القائمة بينها.
- تركيب المفردات بصورة مقصودة وماتنم عنده من دلالة تداولية تتيج للمعنى وعاءً اوسع.

لذا نرى موضوع الدلالة ومايحتويه من المعاني قد شغل الفلاسفة والعلماء منذ القدم، فقد اولى فلاسفة اليونان علاقة اللفظ بالمعنى اهتماماً كبيراً بعلاقة ولهم فيها رايان.

- فمنهم من رأى أن العلاقة بين اللفظ

والمعنى طبيعية حيث ملازمة اللفظ لمعناه. ويعد افلاطون اشهر من تبني هذا الرأي.

- اما ارسطو فقد وجد ان علاقة اللفظ بالمعنى علاقة عرف واصطلاح قائمة على تراضٍ بين البشر وتوافق. (٧)

اما العرب فقد وجدوا في العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقتي الطبيعية والعرف واول من قال بهذه العلاقة عباد بن سليمان

الصيرمي والسيوطي. (٨) ومنهم من وجد أن اللفظ وعاء معناه وذاته من ذلك ابن فارس الذي رأى ان لاعرفاً يلغي الذات

الرابطة بين اللفظ ومعناه. (٩) وهناك من جمهور اللغويين من يرى انها علاقة عرفية اصطلاحية الى جانب رأي ضل

يتناول مناسبة الاصوات في الالفاظ ومعانيها. وقد قال الجرجاني والسكاكي (بدال والمدلول) في اللفظة ذاتها وفي التركيب قالوا ب(الاشارة والاستدلال) وهو

مذهب غيرهم من علماء البلاغة.

وقد جاءت الدلالة في دراسة علمية عند الغربيين في نهاية القرن التاسع عشر على يد اللغوي الفرنسي ميشال بريال حين كتب بحثه (مقالة في السيمانتيك) عام ١٨٩٧ الذي عد ثورة فقد كان اول من استخدمه. ثم في ١٩٢٢م ظهر كتاب (معنى المعنى) للانجليزيان اوجدن وريشاردز. متأثران بدراسة ميشال بريال. (١٠)

علم المعاني في العربية ومصطلحاته :

يختص علم المعاني في العربية بالافكار الى جانب معاني المفردات لما فيه من مناسبة المقال لمتنضى الحال، حيث يكون المفوظ اقرب مايكون الى مايريد المتكلم ايصاله من رسائل فكرية وخواطر ذهنية، اداته في ذلك الكلمة مع جارتيتها، ثم الجملة مع أختيها وماينتج عنها من صورة للرسالة الكلامية المقصود

علماء البلاغة موضع الحذف من الكلام بالفرج بين الخيوط فيصوغها الماهر في وضع المحذوف موضعه، فجاء بصطلح (الحذف المقابلي). ويريد به (ان يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الاخر عليه) (٢٤) من ذك قوله تعالى: (ام يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما اجرامي وانتم براء منه وعليكم اجرامكم وانا بري مما تجرمون. ونراه قد اكتفى من كل متاسبين باحدهما.

بذلك يظهر اثر الصنعة والاحتراز في سبك المصطلح البلاغي ودقة القصد من دلالاته. وهو ما يشكل ركيزة اساس في الموروث اللساني العربي حيث الفصاحة في التعبير والدقة في التفصيل، والايجاز في الكلام وتحديد مفاهيم علم المعاني (٢٦) الذي لم يحدد الا في عصور متأخرة بدءاً من قدامة بن جعفر (٢٣٧هـ) والسكاكي (٢٢٦هـ)، الذي حدّ الفنون اعتماداً على سعة اطلاعهم وعلومهم بالمنطق والفلسفة (٢٧). وسبق ذلك ورود مصطلحات لها علاقة بالدرس البلاغي عند الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥) في كتابه الجمل. وابن جنى الذي بحث ووضح تركيب المعنى (٢٧). ووضع لذلك شرط الوضوح الدلالي ومؤداه مراعاة الأحكام النحوية والوظائف اللغوية، حيث تبدأ سلسلة المتلازمة الدلالية.. من حركة اعرابية تلازم الحرف المتعلق بالكلمة التي لاتؤدي دورها الا اذا أنتظمت مع جارئاتها بتركيب تقتضيه علاقات اللغوية بلاغية نحوية وما الى ذلك (٢٩). وهو ما سماه عبد القاهر الجرجاني في نظريته نظم

فالاطراد. هو ان تطرد الاسماء من غير كلفة ولاحشوفارغ، فانها اذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر وقلة تكلفه ومبالاته بالشعر). (١٤) ومثل ما تقدم الكثير، من ذلك قولهم في (الاطناب) زيادة اللفظ على المعنى لفائدة (١٥)، واصله في الدلالة المعجمية متابعة الابل في سيرها (١٦). ومثلها اللغزي والالفاز حضرة اليربوع تحت الارض (١٧). اما اصطلاحاً فقد جاءت بدلالة كل معنى يستخرج بالحدس او الحزر ولايفهم غرضه بدون ذلك (١٨). ومن سجع الحمام يؤخذ التسجيع، ففي الدلالة المعجمية هو توالي صوت على طريق واحدة (١٩) وفي الاصطلاح اريد به (تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد). (٢٠) اما المطلق من الجنس، فهو ما لايعتبر فيه التمام والنقصان ويأتي من لفظ جاء في اصله من الناقة المطلقة غير المقيدة. ويقال اطلق الناقة من عقالها فهي طَلَّقُ وُطِّقُ، لاعقال عليها (٢١).

وللبينة الحضرية اثر في الدلالة الاصطلاحية للبلاغة وعلومها الرئيسية والفرعية، حيث ان التمدن والتحضّر صار مرجعاً بدلالة المصطلحات. بما فيها من الحضارة فتوناً وعمارة وحرماً... الخ. ومن تلك المصطلحات:

القيافة (الاقتصاص):

حيث البراعة حد الاستهتار والتكلف. (٢٢) كذلك جاء الاحتباك مأخوذاً من الحبك (الشّدُّ والاحكام وتحسين اثر الصنعة في الثوب) (٢٣)، حيث يسد ما بين خيوطه من الفرج منعاً للخلل والتهلل بحسن وجمال ورونق وبهاء. وقد شبه

بها التأثير في المتلقى والاستجابة لغرض المرسل.

بذلك يكون علم المعاني والدلالة فيه فرع من فروع علم البلاغة الثلاث (المعاني والبيان والبديع)، واحد الممارسات الكلامية التي اتبعها العرب على سليقة اعتمدت ماجادت به الفطرة من فنون وابواب، قامت على الذوق والاستحسان المتأثر بالبيئة العربية بمراحل تطورها؛ فالبيئة الصحراوية وحياة البداية أثرت كثيراً في أصل المصطلحات البلاغية، فالعادات والاخلاق وسبل الحياة المادية والمعنوية لها حضور واضح في صياغة المصطلح العام بفروعه المختلفة لكل علوم العربية، ففي علم البلاغة انتقلت بعض الالفاظ من دلالتها اللغوية ذات الطابع البيئي الخاص، الى مصطلح ذي دلالة علمية اخذت صفة العموم بما في ذلك تأثيرات متعددة من ذلك ما استمدت من الحيوان الوسيلة الأكثر التصاقاً بالبديوي وهو كثير مثال ذلك:

الاراداف:

يقال أردفه اذا اركبه خلفه حاملاً اياه على ظهر الدابة، فهو رديف وردف. (١١) اما في الاصطلاح البلاغي فقد عرفه العلماء بقولهم: (الاراداف والتابع بان يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به، ويأتي بلفظ هوردفه او تابع له فيجعله عبارة عن المعنى الذي اراده) (١٢). ومثل ذلك الاستعمال المصطلحي المفردة (اطرد) الشيء، اذا اتبع بعضه بعضاً وجرى، ومنه بعير مطرد: المتتابع في سيره ولا يكيو (١٣).

اما بحسب الاصطلاح العلمي البلاغي

يتوخى معاني النحو.(٢٠).

المصطلح النحوي:

أهم المصطلحات النحوية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظم والدلالة، مصطلح التركيب وعلاقته بالاعراب، الذي يعد قوام علم النحو حيث الاهتمام بعلاقات الالفاظ داخل نظام التركيب الجملي بتناسق الدلالات وتلاقي المعاني في هيئة لغوية تؤثر في المتلقي، مما أخضع التركيب لقواعد الوصل والربط والذكر والحذف مسبقاً بقواعد الرتبة والعمل. (٢١) وتأخذ العلاقة الاعرابية بذلك موضع القرينة الدالة فهي في الاسم تدل على المعنى النحوي الذي يؤدي وظيفة في الجملة. فالرفع للمعنى المركزي في الجملة اي للأسناد، وللنصب معناه الذهني الذي يعد قرينة دالة في التخصيص والموضع الدلالي.

ويعلم النحو تضبط اواخر الكلمات اعراباً وبناءً ليميز المسند والمسند اليه وما تعلق بهما. وبضوابطه تتناسب المعاني التي يراد التعبير بها بعيداً عن اللحن وقلب المعنى البلاغي المطلوب. لذا اطلق بعض مؤسسي علم النحو مصطلح علم النظام عليه، كما جاء عند ابي الاسود الدؤلي والفرهيدي وسيبويه (٢٢). ويعرف في الدراسات الغربية بنظام تركيب الجمل (samtax) تقديماً وتأخيراً، اعراب وبناءً، فاعلية ومفعولية... الخ.

فهو اذن "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتصغير والتكسير والاضافة والنسب والتراكيب وغير ذلك مما يلحق من ليس من اهل اللغة بأهلها في الفصاحة

فينطق بها وان لم يكن منهم ، وان شذ بعضهم منها رد به اليها ، (وهي في الاصل مصدر شائع ، اي نحوت نحواً، كقولك قصدت قصداً، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم). (٢٣) اذن فالنحو فصاحه وسلامة لكلام العرب عند المحاكاة.

يظهر من متابعة المصطلح لمفهومه والغاية من ايجاده هو شدة الترابط بين المصطلح ودلالته عبر الموروث العربي. وتظهر لنا جدلية التشتت الاصطلاحي بين النحو وعلم المعاني في البلاغة فضلاً عن تداخل المصطلحات الى وجود مترادفات كثيرة دالة على ظاهرة واحدة الى جانب تعدد المفاهيم ، والتي يمكن الوقوف عليها من خلال تقابل الفروق بين علم المعاني وعلم النحو ودلالة كل منهما. وعند الاحتكام الى نصوص عبد القادر الجرجاني الذي عدده دعاة احياء النحو رائد نظرية النظم يظهر لنا:-

- ان معاني النحو ثابتة وضعت بقوايلها دون الحاجة الى جهد ومعاناة ارجاع الخارج عن المألوف الى النمطية في التركيب.

- اما معاني النظم الذي دعت اليها النظرية الجرجانية، فتقوم على اجالة النظر في وجوه كل باب، وحسن وتخير لفصاحة الالفاظ وبلاغة في الصور والتراكيب ، وهو دور يلي دور النحو وضوابطه. وبذلك ترتبط (البلاغة بالنحو ارتباطاً وثيقاً، حيث تبدأ مهمتها من حيث تنتهي مهمة النحو ، لأنها ستتناول الصورة الصحيحة التي تدور حول عرض واحد لترى ايهما ارفع في درجات البلاغة). (٢٤)

مصطلحات مشتركة بين علمي النحو والبلاغة:

قامت نظرية النظم على توخي معاني النحو شرطاً ملزماً حين منحت الالفاظ العربية الى جانب حركاتها الاعرابية وموقعها من التركيب، سعة في الدلالة ومرونة وطواعية مكنتها من التعبير عن خلجات النفس بمعانٍ أخرجت اللغة عن المؤلف المباشر في التعبير، فتمكنت بذلك العربية من استيعاب الجديد والمستحدث من معاني الحياة ومستنبط التفكير وقواعد العلوم والفنون كعلم النحو والصرف وغيرها من علوم اللغة.

وكذا جاء علم النحو مستقيماً من النقل والحذف والاستناد.. الخ واضعاً المصطلح الدال على المفهوم ، حين وضع الخليل بن احمد الفرهيدي المصطلح النحوي باطلاقه فكرة العامل (واراد بها اقتارنا لفظياً او معنوياً اوضح فيه تعاقب الحركات على أواخر المعربات). (٢٥) كما قسم النحاة المصطلح الاساس الى مصطلحات فرعية كتقسيم العامل الى العامل المعنوي والعامل اللفظي، بدلالة كل منهما ومفهومه. فقد اشتركت المصطلحات واختلفت المفاهيم بين علمي البلاغة والنحو لما بينهما من نقاط اقتراب شديد بين النظم المتوخي معاني النحو. ففكرة العامل مثلاً بشقيه المعنوي واللفظي لها أثرها في التركيب المؤدي معنى بلاغياً بغرضه الحقيقي والمجازي اسلوباً قنياً مرناً يستوعب هدف النص المرسل، مؤثراً في كنه المتلقي، وجاء مصطلح العامل المعنوي دالاً على فكرة الابتداء التي عملت على رفع المبتدأ. وتجدره من التواسخ وهو عامل رفع الفعل المضارع. والعامل

في علم المعاني وقد اعتمدها البلاغيون مصطلحاً ومفهوماً كالحروف التي لا تطي معناها الا بتعلقها بالجملة او دخولها عليها نسخاً وتوكيداً... الخ. من ذلك إن وبعض اخواتها التي تسخ ما دخلت عليه اعراباً نحوياً، وتؤكد ما دخلت عليه دلالة ومعنى بلاغياً.. وغيرها مما شبه بها.. وكذلك (لا) النافية للجنس(٤٢). وشأن النواسخ كان كشأن الحروف التي تدل على معناها في نفسها اي بنائها الصريفي. اي تلك الحروف التي انمازت بوظائفها الاعرابية والاسلوبية كحروف الاستتهام والعطف النداء... الخ. وهي مما يدخل في اسلوب الانشاء الذي يراد به اليجاد ولايحتمل فيه الصدق والكذب فهو اما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت التكلم او مالا يستدعي مطلوباً في أصل الكلام. من هذا ندرك فرقاً بين اسلوبي علم المعاني وعلم النحو على الرغم من انسجامهما في توشي معاني النحو.

الاسلوب الانشائي:

وفيه من الاساليب ماهو طلبى وماهو غير طلبى، فالطلب في المصطلح النحوي يأتي مباشراً بمصطلحات خاصة به ذات مفاهيم محددة لامرونة فيها تباشر غرضها مباشرة، مهمتها قضية الخطأ والصواب في اعراب التركيب. من ذلك ماجاء باساليب الامر والنهي والنداء والتنمي والاستتهام. لكل منها غرض واحد حقيقي قد يلتزم صيغة واحدة في بعضها وقد يلتزم اكثر من صيغة في بعضها الاخر.

الامر:

يأتي في علم النحو من الاعلى الى

فيه مما يدفع المبدع الى التوكيد باكثر من مؤكد لكسب تصديق المتلقي وقبوله الخبر وهو كثير في العربية.(٢٨)

ولسعة التعبير وكثرة المعاني الطارئة في الحياة يتفرع مصطلح الخبر عند البلاغيين في علم المعاني الى تقسيم آخر حيث يكون الخبر لازم الفائدة اذا كان المتلقي عالم بالمعلومة لكن طرحت عليه لتؤدي غرضاً اضافياً قصد اليه المتكلم. (٣٩) ويخرج آخر عن المألوف يأتي الخبر على غير مقتضى ظاهره لاداء اهداف ومعان يريدها المتكلم قد يجهلها غير البليغ الفطن - فالبلاغة بلاغة كلام ومتكلم ومتلقي - حين يُنزل في التركيب الخبرى المنكر بمنزلة غير المنكر، أو انزال غير المنكر بمنزلة المنكر، أو انزال غير السائل بمنزلة السائل والغرض من ذلك التأثير البليغ في المتلقي بعد تحقيق ايصال المعلومة، كقوله تعالى:(لاتخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون)(٤٠) وقوله تعالى: (وما ابرئ نفسي ان النفس اماراة بالسوء)(٤١) وقولنا: (الموت حق)(٤٢).

ومن خصائص مفهوم المصطلح في علم المعاني القدرة على التذوق الفني والحس الادبي وامكانية اجالة النظر والتفكير في صورة التركيب الجملي، للوقوف على المعنى المقصود وماورائه عند الخروج من غرض الاخبار الحقيقي الى اغراض مجازية فرضتها ظروف الحياة ومستجداتها من ذلك إظهار الضعف، الامر، الشكوى، الدعاء، الاسترحام.. الخ من الاغراض المجازية مع مراعاة الحال وهو الطرف المستدعي تعبيراً صيغة على مقتضاه.

وللنواسخ في علم النحو اثرها الكبير

اللفظي ومثاله الافعال وماقيس عليها في العمل كاسم الفاعل والمصدر والمفعول لها في التقديم والتأخير والتوكيد والحذف والذكر والتقدير من علوم البلاغة وما لها تقارب في المفهوم مع علم المعاني ومن ذلك ماياتي من بعض مصطلحاته:-

الخبر:-

هو ما اسند الى المبتدأ واعطى جملة يحسن السكوت عليها وهو وان اتى بصيغ وتراكيب نحوية مختلفة فمعناه الاخبار، واعرابه يعتمد ظاهر معناه قائماً على حركاته الاعرابية. قاعدته العلمية وضعت بهدف الحفاظ على العربية من اللحن وجهل الناطقين بها من غير اهلها، مهمته البحث في الخطأ والصواب في النحو ومعناه، على حين نجد مصطلح الخبر في الدرس البلاغي وعلم المعاني يأتي وهدفه ايصال المعنى الى المتلقي وقوة التأثير فيه والاستجابة لغرض المرسل، وهو ما اباح للمبدع استخدام الخبر باضرب واغراض وفوائد مختلفة، أخذاً المتلقي بنظر الاعتبار. فما تقسيم اضربية الا لاقتاع سامعه لذا تنوعت مصطلحات فروعه الى خبر ابتدائي بناءً على كون المتلقي خالي الذهن يستقبل المعلومة بلا شك او رفض، ويكون الخبر طلبياً اذا كان المتلقي على شيء من الشك مما يتطلب تأكيداً من المرسل يزيل به الشك ويثبت الاقتناع بصدق المتكلم وبالتالي التأثير في المتلقي(٣٦)، فالخبر عند أهل البلاغة هو الكلام المحتمل صدقاً او كذباً بغض النظر عن قائله(٣٧). أما ما اصطلح عليه (الخبر الانكاري) فهو ذلك الخبر الذي يجد رفضاً وانكاراً لدى المتلقي فلا يؤثر

الادنى او بين المتساويين في الرتبة غرضه وجوب الاستجابة وصيغة اربع هي فعل الامر، واسم فعل الامر، والمضارع المسبوق بلام الامر، والمصدر الدال على فعل الامر، وهو في النحو مصطلح دال على طلب حصول الامر والاستجابة.(٤٤) اما في علم المعاني فهو يخرج من حقيقته الى اغراض مجازية كثيرة تتفق مع معاني النحو الى جانب الصيغ والاصطلاح. واما اهدافه فهي من مخرجات مرونة اللغة واساليبها واستيعابها الحس التعبيري. ولا يمكن الوقوف على أغراض الامر المجازية الا بمعرفة القرائن الدالة على المعنى، فقد يكون الغرض امراً ان كان من الاعلى الى الادنى، ويكون دعاءً ان كان من الادنى الى الاعلى، والتماساً ان كان بين متساويي المنزلة اخوة او اصدقاء.. وقد يكون فخراً او ارشاداً او تعجباً كقوله تعالى: (انظر كيف ضربوا لك الامثال) (٤٥).

ومما يجب ملاحظته مجيئ الامر بمبدولِهِ الاصطلاحي لكن بتركيب الجملة الخبرية وهو من خصائص مرونة العربية وسعة الفكرة والغرض كما في قوله تعالى: (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين) (٤٦) فقد جاء الامر بخالص معناه من الاعلى الى الادنى بصيغة لاعلاقة لها بصيغ الامر الانف ذكرها. حيث جملة اسمية اوجبت بمعناها امر الوالدات بارضاع اولادهن حولين كاملين، بأسلوب اوجب طاعة الأمر والاستجابة لأمره.

النهى:

من المصطلحات التي اشترك بها علم

المعاني مع علم النحو قالباً ومفهوماً (٤٧). حيث جاء في علم النحو ان النهي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء بصيغة واحدة هي (لا الناهية+ الفعل المضارع). مهمة علم النحو فيه الوقوف على الخطأ والصواب مع ارادة المعنى الدقيق الخاص بالنهي لاعلاقة له بغيره من الاغراض، اما علم المعاني فمهمته ايصال المعلومة الى المتلقي والتأثير فيه بما في التعبير من اغراض مجازية حشدت المعاني وكثفت الاهداف فنراه يخرج الى الدعاء والتيتيس (٤٨) وغير ذلك.

الاستفهام:

كغيره من المصطلحات مصطلح وضعه علماء النحو منذ النشأة وتعاقبا على استعماله بعد التفسير والتحليل والتطبيق والتعليل لمفهومه وفكرته عقب الاستدلال عليها بكلام العرب. ورصد ادواته وحروفه التي افادت استفهاماً عن مستغلق يتطلب جواباً وتوضيحاً. ويعلم النحو تميزت ادواته وتخصصت باحوال المستفهم عنه، فكيف للسؤال عن الحال واين عن المكان وبمى يستفهم عن الزمان وكم يستفهم بها عن العدد والكم.. الخ، كما خصصت منها الحروف والادوات ولكل منها اختصاصه (٤٩)، اما البلاغة فقد توخت معنى الاستفهام وحروفه وادواته في النحو، وتناولته اسلوباً بلاغياً مرناً يستوعب طاقاته المباشرة والايحائية في أحد فروعها الا وهو علم المعنى، فالصيغة ذاتها لكن المعنى وماورائه وما في التراكيب من مرونة فوض لاسلوب الاستفهام اغراضاً جديدة غير الاستفهام، تتسع لأداء الحاجة المعنوية بأسلوب تعبيري

خارج عن المؤلف والنمطي في التعبير. من ذلك الاغراض المجازية التي يخرج عليها اسلوب الاستفهام كقوله تعالى: (أغير الله تدعون) (٥٠). ويريد الانكار. ولغرض الامر بأسلوب الاستفهام قال تعالى: (فهل انتم منتهون) (٥١) أي انتهوا. ولغرض الوعيد قال تعالى: (الم تر كيف فعل ربك بعاد) (٥٢) وللتبويه على الخطأ قال تعالى بأسلوب الاستفهام: (أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير). (٥٣) والتبويه على الباطل قال تعالى: (أفانتم تسمع الصم أو تهيي العمي) (٥٤) وللتهويل قال تعالى: (الحاقة ما الحاقة وما ادرك ما الحاقة) (٥٥) وللتشويق قوله تعالى: (هل ادلكم على شجرة تتجكم من عذاب اليم) (٥٦) وقوله تعالى لغرض النهي: (اتخشونهم فالله احق ان تخشوه) (٥٧). اي لاتخشونهم فالله احق ان تخشوه. وغير ذلك كثير كالتقرير والتسوية والنفي الخ. وما كثرة الاغراض المجازية الا دليل مرونة اللغة العربية وسعة العقل والتفكر عند علماء البلاغة الذي جعلهم يعتمدون المصطلح النحوي ويتوخون معناه ويتوغلون في ماورائه من معانٍ آخر.

التمني:

مصطلح نحوي بلاغي مشترك يؤدي اغراض علم المعاني ويتوخى معاني النحو، فالتمني اصطلاحاً نحوياً، هو طلب الشيء المحبوب الذي لايرجى حصوله خصصت اداته الاصلية وهي (ليت) وثلاث غير اصلية بل نائبة عنها وهي (هل، لو، لعل) خضع لمقياس الخطأ والصواب في العربية عند أهل النحو، اما عند أهل البلاغة فالتمني بالمصطلح ذاته والادوات،

اسناد المسند الى المسند اليه فيروا في ابواب علمهم تقديمًا وتأخيرًا متوخين المعاني النحوية الى جانب اهدافهم البلاغية واغراضهم الاسلوبية.

اول من استخدم مصطلح المسند والمسند اليه سيبويه في كتابه حيث ذكر انه لا يمكن الاستغناء عنهما ولا عن احدهما، وظل هذا القانون معيارا من بعده (٧١) ، فالجملة الاسمية والفعلية تتصل باعرابها وموقع المسند والمسند اليه فيها على الرغم مما سبقها من حروف ونواسخ ، ولا يفهم معناها الا بضم الفعل الى الفاعل والخبر الى المبتدأ ضما يحسن السكوت عليه بغرض فائدة الخبر، وهو من الاغراض الاصلية لعلم المعاني، لا اغراض فرعية له، اما تأكيده فيكون بحسب معناه وعلى العكس من ذلك في البلاغة. فالمسند والمسند اليه يتغيران في موقعهما تبعا لأهداف الاسناد ونية المتكلم في التقديم والتأخير بما يستفز ذهن المتلقي لما فيه من لزوم الفائدة. من ذلك قولنا انا ضيفك يا علي، وعلي يعلم اني ضيفه ونازل عنده لا عند غيره. ولزوم الفائدة احد الغرضين الاصيلين في باب التقديم والتأخير من علم المعاني. كما يتضمن كل تغيير بالموضع من الجملة اغراضا متممة كتخصيص المسند والمسند اليه نحو قوله تعالى (لله ملك السموات والارض) (٧٢). ومنها التشويق للمتأخر اذا كان للمقدم ما يشوق لذكره كتقديم المسند في قوله تعالى: (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الاباب) (٧٣). وفي التقديم والتأخير مرونة تقيد اغراضا اخرى منها التنبية منذ اول الامر على انه خير لانعت كقول الشاعر (٧٤):-

المعاني انما تبتغي معاني النحو وتعدد المعاني الاسلوبية ومرونتها.

النداء:

هو طلب المتكلم اقبال المخاطب عليه باحد حروف النداء النائية مناب (انادي) والمطلوب الاستجابة على وجهها الحقيقي ، وعلى ذلك المفهوم وضع المصطلح النحوي الذي يباشر معناه مباشرة حقيقة (٦٥) ، ولا يجوز العدول عنه الا لعلم المعاني ، حيث المعاني الثواني التي تفهم من السياق وما يحمله من قرائن دالة على اغراض مجازية منها الاغراء والاستغاثة والتحسر والتوجع كقوله تعالى: (يا ليتني كنت ترابا) (٦٦)، والزجر والندبة والتضجر والتخيير والاختصاص بنوعيه (التفاخر والتواضع) وغير ذلك كقوله تعالى: (رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد) (٦٧)، ففي علم المعاني تكثيفا لمفهوم النداء في المصطلح النحوي شحذت به الافكار والاخبار وشاركت اهل النحوية.

الاسناد:

وهو من المصطلحات المشتركة بين النحو والبلاغة بعلم المعاني، مصطلح المسند والمسند اليه والاسناد في معناه المعجمي هو (اسناد الظهر الى الحائط والاتكاء عليه) (٦٨). وما الاسناد عند اهل النحو الا (اثبات العلاقة الموجودة بين كلمتين على وجه يفيد معنى تاما) (٦٩) (وعند اهل الصرف) هو (ضم كلمة الى اخرى على وجه يفيد معنى تاما كاسناد الخبر الى المبتدأ والفعل الى الفاعل) (٧٠) ومن حد علماء العربية معنى الاسناد في النحو الصرف ابداع علماء البلاغة في

يخرج المعنى الى اغراض اخرى تؤدي غاية المرسل لتؤثر في المتلقي. ف (ليت) تكون تمنياً ان كان الامر مستحيلاً كقول الشاعر (٥٨):

الا ليت الشباب يعود يوماً

فأخبره بما فعل المشيبُ
فان جاءت ليت في أمر ممكن يطمح في الحصول عليه فيكون ترجياً، كقوله تعالى:

(ليت لنا مثل ما أوتي قارون) (٥٩)، ويأتي للترجي بـ (لعل وعسى) بمعنى واحد كقوله تعالى: (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) (٦٠)، وقوله سبحانه: (فعسى الله أن يأتي بالفتح) (٦١) وللتمني بـ (لو) قال تعالى: (لو أن لنا كرة فتكون من المؤمنين) (٦٢)، وقرينة التمني هنا عزة الامنية واستحالة حصولها فجاء التركيب في صورة التمني، لما اكده علماء النحو واستقروا على مفهوم (لو) انها وضعت دالة على امتناع الجواب لأمتناع الشرط. ومن شواهد (لعل) التي لا يرجى حصولها قول الشاعر (٦٣):-

أسرب القطا هل من يعبر جناحه

لعلني الى من قد هويت اطير

جاءت لعل هنا لتؤدي غرض التمني لما لا يرجى حصوله. وتؤخذ (هلا، الا، لوما، لولا) من (هل ولو) بزيادة ما ولا عليهما - واصل (الا هلا) قلبت الهاء همزة لتعيين معنى التمني ليزول احتمال الاستفهام والشرط فيتولد معنى التمني في الحاضر ومعنى التقديم في الماضي نحو هلا قمت ، ومعنى التخصيص في المستقبل نحو هلا تقف ولا يتمنى بهل ولو ولعل الا في المقطوع بعدم وقوعه لئلا تحمل على معانيها الاصلية) (٦٤) فاسلوبية علم

الشيء المنقول اليه وتعريفه ولم تأخذ كلمة (مصطلح) المعنى الذي حدد لها الا بعد زمن طويل لذا وجد التشتت والاضطراب في بعض المصطلحات وتداخلها عند ذوي الصناعة الواحدة فكيف به وهو يتداخل متنقلاً الى علم آخر، كانتقال المصطلحات بين علمي البلاغة والنحو، لذا فقد ادى التداخل الى الخلاف والتوسع حدّ التندر وهو كثير في علوم العربية ومصطلحاتها.

الخلاصة:

وقفت الدراسة على الخلاف المرجعي بين مصطلحات علم المعاني التي تداخلت بين علمي البلاغة والنحو، ووضحت فضل العلماء الاوائل في وضع المصطلحات ومفاهيمها العلمية في نصابها الصحيح كما بينت الدراسة اسباب ونتائج الفرق بين استخدام كل من العلمين للمصطلح الواحد.

وخرج البحث بمعلومة مفادها ان اسباب التداخل نجم عن تشابه لمفاهيم وترادف المعاني المؤدي الى تداخل المصطلحات وتعددها فضلاً عن أمرين هامين هما:

- مرونة اللغة العربية واستيعابها الافكار والمعاني وظروف الحياة.
- الموسوعية الفكرية والشمولية البحثية لدى علماء العربية.

ولم يغفل البحث اثر البيئة العربية في المصطلحات العلمية ومفاهيمها. كما بني البحث على تمهيد لأصل علم المعاني وعمقه في التاريخ.

ربهم) (٧٨) على تقدير يخافون عذاب ربهم. وقد اكتفى علماء النحو بتقدير المحذوف لاستقامة القاعدة النحوية، أما أهل البلاغة فقد سخروا الحذف لخدمة المعاني والتاثير في المتلقي، حين قسموا بعض المحذوف خدمة لمقتضى حال المتلقي اختصاراً. شاهدهم في ذلك قوله تعالى: (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلمّ به الموتى) (٧٩)، اي لكان هذا القرآن.

ومن الحذف ما جاء للدلالة على ما لا يمكن الاحاطة به، ولا يمكن تصور عظمته أو شدة هولهِ أو جماله فالمحذوف لا يمكن لذهن السامع تصوره من ذلك قوله تعالى: (ولو ترى اذ وقفوا على النار) (٨٠) وقوله تعالى: (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) (٨١). فحال المجرمين مما لا يمكن وصفه والوقوف عليه، ومن ذلك ما جاء في قولهم (جاء بعد اللتيا والتي أي المشار اليه بهما وهي المحنة والشدائد وقد بلغت شدتها وفضاعة شأنها مبلغاً يبهت الواصف معه حتى لا يحير ببنت شفة) (٨٢)، لذا وجد علم المعاني مجالاً للحذف بتقدير القرائن، مشتركاً مع علم النحو في المصطلح مفترقاً عنه في المفهوم مختلفاً في سعة الدلالة واستفزاز الذهن بقصدية تامة.

الخاتمة:

المصطلح هو اتفاق جمع بعينه على اسم ما لينتقل من معناه المعجمي الى معنى آخر ذي مفهوم مكثف لما بينهما من مناسبة الاشتراك او التشابه لبيان مفهوم

له همم لامنتهى لكبارها

وهمته الصغرى أجل من الدهر

فلو قال الشاعر (همم له) لتوهم

ابتداءً كون (له) صفة لما قبلها.

ومن اغراضه الاسلوبية الأخرى، افادة قصر المسند اليه على المسند كقوله تعالى: (لكم دينكم ولي دين) (٧٥)، والمراد دينكم مقصورٌ عليكم وديني مقصورٌ عليّ. فضلاً عن ذلك اغراض التعجب والتعظيم والمدح والذم والترحم والدعاء. وإن تأخر المسند فهو عند أهل النحو اصل وعند أهل البلاغة محكوم بانئية والقصدية في اصال المعلومة واستفزاز ذهن المتلقي.

الحذف والذكر:

وقد يحذف المسند او المسند اليه فيقدره أهل النحو تقديراً حفاظاً على القاعدة الاعرابية والمعنى المفيد معلومة، مع مهمة تشخيص الخطأ وتصحيحه (٧٦). اما مصطلحي الحذف والذكر الذي ورد ذكرها في علم المعاني فقد كانا تحت موضوع اكبر واخص بالبلاغة والاسلوبية وهو (الايجاز) وجاء الذكر والحذف من المصطلحات المشتركة بين النحو وعلم المعاني.

وقد جاء تعريفه عند علماء البلاغة في علم المعاني مسنداً الى مفردة الايجاز بقولهم (ايجاز الحذف)، وهو ما يكون المحذوف اما جزء جملة او جملة او اكثر من جملة (٧٧) ومما جاء محذوفاً منه جزء الجملة وهو المضاف وقوله تعالى: (يخافون

الهوامش:

- ١- المصطلح النحوي والبلاغي في الموروث العربي: ٢٨.
- ٢- ينظر كشف اصطلاحات الفنون: ٢١٢/١.
- ٣- تعدد المصطلح وتداخله قراءة في التراث النحوي: ٣.
- ٤- علم المعاني ويكيبيديا.
- ٥- بلاغة ارسطو بين العرب واليونان: ٢٤.
- ٦- دروس في البلاغة وتطورها: ٢٨.
- ٧- بلاغة ارسطو بين العرب واليونان: ٣٨٠.
- ٨- ينظر الدلالة الايحائية في الصيغة الافرادية: ٨٢.
- ٩- دروس في البلاغة وتطورها: ١٥٧.
- ١٠- ينظر اللسانيات والدلالة: ٢١٧.
- ١١- ينظر لسان العرب: (ردف).
- ١٢- كتاب الصناعتين: ٣٥٠.
- ١٣- ينظر لسان العرب: (طرذ).
- ١٤- العمدة: ٢/٣٤.
- ١٥- ينظر المثل السائر: ٢/١٠٩.
- ١٦- ينظر لسان العرب: (طنب).
- ١٧- ينظر م.ن: (لغز).
- ١٨- ينظر المثل السائر: ٢/٢٠٠.
- ١٩- ينظر لسان العرب: (سجع).
- ٢٠- المثل السائر: ١/١٩٠.
- ٢١- ينظر لسان العرب: (طلق).
- ٢٢- ينظر لسان العرب: (قص).
- ٢٣- الاتقان في علوم القرآن: ٢/٢٨.
- ٢٤- البرهان في تفسير القرآن: ٣/١٢٩.
- ٢٥- هود: ٣٥.
- ٢٦- ينظر الموجز في شرح دلائل الاعجاز: ٣٧.
- ٢٧- ينظر تاريخ البلاغة العربية: ١٤٧.
- ٢٨- ينظر الجمل في النحو: ٢٥٢، وينظر الخصائص: ٢/٨٩.
- ٢٩- ينظر الايضاح في علل النحو: ٩١.
- ٣٠- ينظر م.ن: ٩٥.
- ٣١- ينظر الجملة الفعلية البسيطة: ١٢.
- ٣٢- ينظر المصطلح النحوي مفهومه ودلالته: ١٠٧.
- ٣٣- الخصائص: ١/٣٤.
- ٣٤- نظرية الاعجاز القراني واثرها في النقد العربي القديم: ١٦٧.

- ٣٥- القياس النحوي: ٣٠٠.
- ٣٦- البلاغة فنونها وافنانها: ٢٢١.
- ٣٧- اساليب بلاغية (الفصاحة البلاغة المعاني): ٢٤٣.
- ٣٨- ينظر م.ن: ٢٢٤.
- ٣٩- ينظر دلائل الاعجاز: ٥٧٢.
- ٤٠- المؤمنون: ٣٧.
- ٤١- يوسف: ٥٢.
- ٤٢- ينظر البلاغة والتطبيق: ١٨٢.
- ٤٣- ينظر المصطلح النحوي من النشأة الى الاستقرار: ٩٢٥.
- ٤٤- ينظر م.ن: ٥٨٣.
- ٤٥- الفرقان: ٩.
- ٤٦- البقرة: ٣٣.
- ٤٧- ينظر المصطلح النحوي من النشأة الى الاستقرار: ٦٩١.
- ٤٨- ينظر م.ن: ٩٣٣.
- ٤٩- ينظر جواهر البلاغة: ١٠٧.
- ٥٠- الانعام: ٤٠.
- ٥١- المائدة: ٩١.
- ٥٢- الفجر: ٦.
- ٥٣- البقرة: ٦١.
- ٥٤- الزخرف: ٤٠.
- ٥٥- الحاقة: ٣-١.
- ٥٦- الصف: ١٠.
- ٥٧- التوبة: ١٣.
- ٥٨- ديوان اب العتاهية: ١٨١.
- ٥٩- القصص: ٧٩.
- ٦٠- الطلاق: ١٠.
- ٦١- المائدة: ٥٢.
- ٦٢- الشعراء: ١٠٢.
- ٦٣- شعر ابي نواس: ٢٣٠.
- ٦٤- جواهر البلاغة: ١٦٤.
- ٦٥- ينظر المصطلح النحوي من النشأة الى الاستقرار: ١٩٥.
- ٦٦- النبأ: ٤٠.
- ٦٧- هود: ٧٣.
- ٦٨- تعدد المصطلح النحوي وتداخله قراءة في التراث اللغوي: ٦٧.
- ٦٩- م.ن: ٧١.

٧٠- الايضاح في علل النحو: ١٤٠.

٧١- المصطلح النحوي من نشأة الى الاستقرار: ٤٧٥.

٧٢- آل عمران: ١٨٩.

٧٣- البقرة: ١٦٤.

٧٤- شرح ديوان المتنبي: ٢٩٣.

٧٥- الكافرون: ٦.

٧٦- الكليات: ٢٦٣.

٧٧- ينظر الايضاح: ١٧٧.

٧٨- النحل: ٥٠.

٧٩- الرعد: ٣١.

٨٠- الانعام: ٢٧.

٨١- الانعام: ٣٠.

٨٢- مفتاح العلوم: ١٧٩.

المصادر والمراجع:

١. الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط١ ، ١٩٧٤.
٢. اساليب بلاغية الفصاحة - البلاغة - المعاني: د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٠.
٣. الايضاح في علل النحو: ابي القاسم الزجاجي، تحقيق د.مازن المبارك ، دار النفائس بيروت -لبنان، ط١، ١٩٨٢.
٤. بدر الدين الزركسي، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الجيل - بيروت، ١٩٨٨.
٥. البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني ، تحقيق لجنة من علماء محققين ، طبعة طهران ، ١٨٧٨.
٦. البلاغة فنونها واقتانها - علم المعاني: د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع ، الاردن، ط١٠، ٢٠٠٥.
٧. البلاغة والتطبيق: د. احمد مطلوب ، د. كامل حسن البصير، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي -العراق ، ط٢، ١٩٩٩.
٨. تعدد المصطلح وتداخله قراءة في التراث اللغوي: خالد بسندي، جامعة الملك ، كلية الاداب ، قسم اللغة العربية ، مجلة التراث العربي ، اتحاد دمشق - ٢٠٠٥.
٩. تعدد المصطلح وتداخله قراءة في التراث اللغوي: د. خالد بسندي، جامعة الملك / كلية الاداب/ قسم اللغة العربية، مجلة التراث العربي، اتحاد دمشق ٢٠٠٥.
١٠. جلال الدين السيوطي ن تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط١، دمشق ١٩٢٧م.
١١. الجمل في النحو: الخليل بن احمد الفراهيدي، مؤسسة الرسالة ، (د.ت)، ١٩٨٥.
١٢. الجملة الفعلية البسيطة: احمد غرس لله.
١٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد احمد الهاشمي، دار ومكتبة طريق المعرفة، ط١، ٢٠٠١.
١٤. الخصائص: ابن جنبي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠٠٦.
١٥. دروس في البلاغة وتطورها: د.جميل سعيد ، مطبعة المعارف ، بغداد- العراق، ط١، ١٩٥١.
١٦. الدلالة الايحائية في الصيغة الافرادية: صفية مطهري، اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا، ط١، ٢٠٠٣.
١٧. دلائل الاعجاز: عبد القاهر عبد الرحمن محمد الجرجاني النحوي ، تحقيق محمود محمد شاكر ابو فهد، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، (د.ط) ، (د.ت).

١٨. ديوان ابي نواس: الحسن بن هاني، تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتابة العربي ، بيروت لبنان(د.ط)، (د.ت).
١٩. السيد احمد الهاشمي، ط١.
- القران الكريم.
٢٠. القياس النحوي: ودوره في بناء المدرستين (البصرة والكوفة): مبارك حسين نجم الدين بشير(بحث دكتوراه) الخرطوم جامعة السودان.
٢١. القياس النحوي ودوره في بناء المدرستين (البصرة والكوفة): مبارك حسين نجم بشير (بحث دكتوراه) الخرطوم جامعة السودان.
٢٢. كتاب التعريفات: علي بن محمد ابن علي الشريف الحسيني الجرجاني(ت٨١٦هـ)، تحقيق عبد المنعم الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١٩٨٣.
٢٣. كتاب الصناعتين ابي هلال العسكري، تر: منذر قميجة، دار الكتب العلمية ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٨٩، ص٣٥٠.
٢٤. كتاب سيبويه: سيبويه، تر: عبد السلام محمد هارون، الناشر الخانجي، ط٣.
٢٥. كشاف اصطلاحاً الفنون والعلوم: محمد علي النهانوي، تحقيق رفيق العجم وعلي دروج الناشر مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦.
٢٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ابي ايوب بن موسى الحسيني الكفوي ابو البقاء الحنفي(ت١٨٩٨م)، طبعة ايران، ١٢٩٨- ١٨٦٩ علم لغة ادب.
٢٧. لسان العرب لابن منظور الافريقي: منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، حلب - سوريا، ط١، ٢٠٠١.
٢٨. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الاثير، تر: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١.
٢٩. المرجعيات الثقافية للمصطلح البلاغي العربي.
٣٠. المصطلح النحوي مفهومه ودلالته.
٣١. المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى اواخر القرن الثالث الهجري: عوض محمد القوزي الناشر عمادة شؤون المكتبات - الرياض، ١٩٨١، السعودية، ط١.
٣٢. المصطلح النحوي والبلاغي في الموروث البلاغي.
٣٣. معجم المصطلحها: احمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت ٢٠٠م، ص١٢٧، ط١.
٣٤. مفاتيح العلوم: محمد بن احمد الخوارزمي.
٣٥. موسوعة المصطلح النحوي من النشأة الى الاستقرار: د. يوحنا ميرزا الخامس. المملكة العربية السعودية، ٢٠١١، عدد الصفحات، ١٠٢٤.
٣٦. نظرية الاعجاز القرآني واثرها في النقد العربي القديم: د. احمد السيد عمار، دار صادر- بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥.